« صحرا سفارى »

فيلم تسجيلى ملون فى نصف ساعة

(ناطق باللغات العربية والانجليزية والفرنسية والأسبانية والالمانية)

سيناريو واخراج : عبد القادر التلمسانى
مدير التصوير : حسن التلمسانى
مونتاج : حسن حلمى
فكرة : عادل طاهر
تعليق : صلاح حافظ
موسيقى : مونا غنيم
انتاج سنة ١٩٧٨

الموضوع :

رحلة سياحية لجماعة من الأجانب فى صحرائنا الغربية .. فى الواحات الخارجة والداخلة .. فى الوادى الجديد .

ومن خلال عيون أفراد هذا الفوج السياحى الأجنبى نرى ونستكشف ما تمتاز به الصحراء من جمال وجلال .. وما تحويه أرضها من ثروات طبيعية ومن آثار .. فرعونية وقبطية وإسلامية .

التعليق :

● يحب الناس فى عصرنا أن يهربوا إلى البحر، أو إلى الجبل، أو إلى الغابة، ولكن مصر تتيح لهم أيضاً أن يهربوا إلى الصحراء .

إنها تجربة مثيرة حقاً .. وكل يوم يزداد عدد الذين سمعوا عنها، وجاءوا من مختلف بلاد العالم يستمتعون بمغامراتها الشائقة . والأوربيون يسمونها صحرا سفارى ــ أى رحلة الصحراء ــ ويبدأونها

من معسكر خيام بالقرب من أهرام الجيزة. وفى الطريق يمرون بهذه الأهرام وبالخضرة الضاحكة على جانبى النيل.

● لكن هدف القافلة أن تصل فى النهاية إلى قرب أسيوط لكى تنطلق منها إلى الغرب.. إلى الصحراء.. صحراء مصر الساحرة.

هنا يتاح للسائح أن يرتد إلى فطرته، ويعتمد على نفسه.. حتى بيته يحمله معه.

● لكن الصحراء ليست ميتة كما يتصوّر الكثيرون.. ففى بحر الرمال جزر تنبض بالحياة، وأقربها الواحة الخارجة.. العاصمة الحالية للوادى الجديد فى صحراء مصر الغربية.

● والواحة ليست بلا تاريخ ففيها عاشت حضارة فرعونية زاهرة يحتفظ ببعض آثارها متحف خاص.

ومن أبرز مايعرض المتحف هذه اللوحة النادرة التى تسجل خطبة بليغة فى تمجيد الحاكم الفرعونى للواحة.

● فى الواحة أيضاً مايزال معبد هيبيس للإله آمون يتحدى آلاف السنين التى مرت به.. وعواصف الرمال التى فشلت فى دفنه.. وماتزال أعمدته ونقوشه تسجل أربعة عصور تاريخية تعود إلى ٢٦ قرنا: من الفراعنة، إلى الفرس، إلى البطالمة، إلى الرومان.

● أما العصر المسيحى فتسجله آثار «البجوات».. وهى جبانة تعود إلى القرن الرابع الميلادى.. وتعتبر حقلاً فنياً لدراسة العمارة المسيحية، فهى تضم عشرة طرز معمارية استخدمت فى بناء هياكلها التى تبلغ ٢٦٣ هيكلا.. بوسطها كنيسة تاريخية ماتزال رسومها مرجعا للفنانين وسجلا لكثير من القصص الدينى.

● أما العصر الحديث فن ملامحه الجميلة فى الواحة الخارجة بركة البط البكينى.. وهى بحيرة صناعية تتدفق إليها المياه من بئر جوفية مجاورة، ويستمتع البط بالسباحة فى أوسع ساحة من الماء يمكن العثور عليها فى صحراء.

● ثم تغرب الشمس على الفارين من قبضة المدينة، وينامون ليلتهم الأولى يتنفسون هواء الصحراء النقى الجاف.

● وفى اليوم التالى تصحو القافلة مبكرة وتستقل عرباتها لزيارة الهضبة الشهيرة المجاورة.. هضبة أبو طرطور.

● هنا يتاح للقافلة أن ترى حضارة الآلة في مناخ مختلف.. ويفاجأ الزائرون بحقيقة مثيرة: إن تحت هذه الرمال كنزاً لانهائياً من الفوسفات.. أى من بقايا الأحياء البحرية.. أى أن البحر كان هنا ذات يوم من ملايين السنين.

لقد ترك البحر فى هذا المنجم الهائل بلايين الأطنان من الفوسفات فى مساحة تبلغ ألف كيلومتر مربع ما بين الواحتين الخارجة والداخلة.

● وتواصل القافلة رحلتها إلى الواحة الداخلة.. إلى عاصمتها.. موط.. ويتعانق التاريخ الفرعونى واليونانى والرومانى فى أطلال المدينة القديمة.. وبفضل ثروة المياه الجوفية التى تفصح عنها الأرض فى هذه المنطقة تنتشر حول موط عشرات القرى من أهمها قرية القصر.

● وتبدو القرية سجلاً للمعمار الإسلامى. ومن أشهر مبانيها مسجد من العصر المملوكى ما يزال يواصل رسالته.. وما تزال مئذنته تدعو إلى الصلاة خمس مرات كل يوم..

وتواصل رسالتها أيضاً فى قرية القصر دواليب صناع الفخار.. فهنا يمارسون منذ التاريخ القديم نفس العمل بنفس الخامات وبنفس الفن، ونفس الطابع.

● ثم تغرب الشمس مرة أخرى، وتعسكر القافلة من جديد لكى تبكر إلى المحطة التالية فى صحراء مصر الأسطورية الساحرة.

● هذه المحطة التالية اسمها «المزوّقة» وجميع آثارها مقابر منحوتة فى الصخر، تعود إلى العصر الرومانى.

إن نقوش هذه المقابر تنبض بالألوان الزاهية وتوحى بإشراق حفلات العرس والميلاد، وتبرر أن يكون اسمها الفعلى «المزوّقة».

● لكن سحر الصحراء وسرها ليس فى الآثار فقط فالصحراء كائن حى.. وحتى رمالها لا تكف عن الحركة.. وكثيراً ما تزحف حتى تدفن النخل، والبدو يطلقون على هذه الرمال الحية إسم «الغرود» ويخافون منها لأنها تمشى وتغير مواقعها، فتتغير معالم الصحراء، وقد تهدد المسافرين بأن يضلوا الطريق.. لكن القافلة تنام مطمئنة.. فالأجهزة التى معها تضمن لها ألا تتوه.

● وفى الصباح التالى تستأنف القافلة رحلتها فى اتجاه الجنوب.. إلى جبل العوينات على حدود مصر مع السودان وليبيا.

هكذا تلهم الصحراء زائرها أن يرتد طفلا من جديد..
هكذا تفرض الصحراء على الزائر أن يشق طريقه مستعينا بكل ما يملك من كفاءة..
وهكذا أيضاً تفرض الصحراء على إنسان المدينة المترف أن يستخدم عضلاته..

● الآن اعتدل الطريق وانتهت متاعب السير فى الرمال لتبدأ متاعب السير على صخور الجبال.

وتعسكر القافلة آخر النهار ولا تتذمر، فهى جاءت أصلاً هاربة من عالم الأزرار المريحة والهواء الملوّث، والآلات العصبية التى تحيل الإنسان إلى آلة عصبية مثلها.. جاءت تغسل صدرها بالهواء

النقى وتغسل أذنها بالهدوء الهامس على أرض الصحراء، وتغسل عضلاتها بالحركة والنشاط، وتغسل معدتها بالطعام البسيط.

● وفى اليوم التالى يواصل السائحون رحلتهم ليعبروا حدود مصر إلى مغامرة جديدة فى بلد آخر، ولكن بعد أن تكون الصحراء المصرية قد غسلتهم من الداخل، وزودتهم بما يحتاجون إليه من صحة وتفاؤل وصفاء..

● ● ●